أثر التحديات الطبيعية والبشرية في اقتصاد حمص في الفترة (بين القرن 3–9هـ / 9–15م) في ضوء أعمال المؤرخين والرحالة العرب المسلمين

اعداد: اسماء محسن العباس إشراف الدكتور : سلمان شحاده

الملخص

يتناول هذا البحث تأثير التحديات الطبيعية والبشرية على اقتصاد مدينة حمص بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، مستندًا إلى روايات المؤرخين والرحالة العرب المسلمين. تنطلق الدراسة من خصوصية حمص بوصفها مدينة ذات موقع استراتيجي يربط الساحل بالداخل والشمال بالجنوب، إضافة إلى اعتماد اقتصادها على الزراعة التي تأثرت بشكل مباشر بالعوامل المناخية، كما ورد في النص: «لم تكن حمص بمنأى عن النوازل التي أصابت بلاد الشام».

يحلّل البحث أولًا التحديات الطبيعية التي واجهتها المدينة، بما في ذلك الزلازل المتكررة، والسيول، والجفاف، والثلوج، والجراد، وهي أحداث أدّت إلى تدمير البنية العمرانية، وانخفاض الإنتاج الزراعي، وارتفاع الأسعار، ونقص اليد العاملة. تُظهر الجداول التاريخية تواتر هذه الكوارث وما خلّفته من اضطراب اقتصادي مستمر، إذ كانت المدينة تعيد بناء ما تهدمه الطبيعة بدلًا من تطوير مواردها.

كما يدرس البحث الأوبئة والأمراض التي ضربت حمص، مثل الطاعون والجدري والخوانيق والبرسام، والتي تسببت في ارتفاع معدلات الوفيات، وتراجع القوة العاملة، وهجرة السكان، وتعطّل النشاطين الزراعي والتجاري. تُشير بعض المصادر إلى أن «كثيرًا من القرى خلت من السكان»، ما يعكس عمق التأثير الديمغرافي والاقتصادي لهذه الأوبئة.

أما القسم الثاني فيتناول التحديات البشرية، وعلى رأسها الغزو الصليبي، والاضطرابات السياسية، والحروب الداخلية، وغارات البدو. وقد أسهمت هذه العوامل في إضعاف الريف الحمصي، وقطع الطرق التجارية، ونهب المحاصيل والمواشي، وتراجع الأمن الاقتصادي، وهو ما انعكس مباشرة على الزراعة والتجارة والصناعة المحلية.

اعتمد البحث المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، من خلال تتبّع الروايات وربطها بالسياق الاقتصادي العام لبلاد الشام. وتخلص الدراسة إلى أن التفاعل بين الكوارث الطبيعية والاضطرابات البشرية أنتج حالة من الهشاشة الاقتصادية المزمنة في حمص، وأن تراكم هذه العوامل عبر ستة قرون شكّل مسارًا اقتصاديًا مضطربًا ترك أثرًا عميقًا في عمران المدينة ونشاطها الإنتاجي.

Abstract

This study examines the impact of natural and human challenges on the economy of Homs between the 3rd and 9th centuries AH, relying on the accounts of Arab Muslim historians and travelers. The research analyzes the effects of recurrent natural disasters—such as earthquakes, floods, droughts, frost, and locust invasions—on agricultural productivity, urban structures, and market stability. It also investigates the demographic and economic consequences of widespread epidemics that led to significant population decline and labor shortages. In parallel, the study explores the influence of human factors, including Crusader incursions, internal conflicts, and Bedouin raids, which disrupted trade routes, weakened rural infrastructure, and undermined economic security. Using a historical‐analytical descriptive method, the research concludes that the cumulative interaction of environmental and political pressures produced long‐term economic

fragility in Homs and shaped its developmental trajectory across six centuries.

المقدمة

تُعتبر مدينة حمص واحدة من المدن الرئيسية في بلاد الشام، وتتميز بموقعها الجغرافي الذي يتوسط الطرق التجارية، حيث تربط الساحل بالداخل والشمال بالجنوب. هذا الموقع منحها عبر العصور دورًا استراتيجيًا في حركة العمران والتبادل الاقتصادي. يتميز مناخ المدينة بطابع البحر الأبيض المتوسط شبه القاري، مع صيف حار وجاف وشتاء بارد يتخلله أمطار متفاوتة. كما تتعرض لظواهر مناخية قاسية مثل السيول والثلوج والصقيع، وهي عوامل أثرت بشكل مباشر على طبيعة النشاط الزراعي الذي شكل الأساس الاقتصادي للمدينة.

منذ الفتح الإسلامي، برزت حمص كمركز إداري وعسكري ضمن جند حمص، واستفادت من خصوبة أراضيها وموقعها الذي يربط بين المدن الكبرى، مما ساهم في ازدهار زراعتها وتجارتها خلال فترات الاستقرار. ومع ذلك، لم يكن هذا الازدهار مستمرًا، إذ تشير المصادر التاريخية إلى أن حمص لم تكن بمنأى عن النوازل التي أصابت بلاد الشام، وهو ما يعكس التحديات الكبيرة التي واجهتها عبر العصور. فقد تعرضت المدينة خلال الفترة من القرن الثالث إلى التاسع الهجري للعديد من العوامل الطبيعية والبشرية التي تركت آثارًا واضحة في مسارها الاقتصادي. شملت هذه العوامل الكوارث الطبيعية المتكررة، والأوبئة واسعة الانتشار، إلى جانب الاضطرابات السياسية، والغزو الصليبي، وغارات البدو، وهي أحداث وثّقها المؤرخون والرحالة العرب بدقة نظرًا لتأثيرها المباشر في العمران والموارد واستقرار النشاط الإنتاجي.

استنادًا إلى ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر تلك التحديات في اقتصاد حمص خلال هذه الفترة، من خلال تحليل الروايات التاريخية وربطها بالسياق الاقتصادي العام، بهدف إبراز طبيعة التحولات التي شهدتها المدينة والعوامل التي أسهمت في تشكيل مسارها الاقتصادي.

إشكالية البحث

تتمحور الإشكالية الرئيسة حول السؤال التالي: كيف أسهمت العوامل الطبيعية والبشرية، مثل الكوارث والأوبئة، والغارات، والحروب، والغزو الصليبي، في إضعاف اقتصاد مدينة حمص بين القرنين الثالث والتاسع الهجري، وما مدى انعكاس ذلك في روايات الرحالة والمؤرخين العرب؟

ويترتب على هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي طبيعة الكوارث الطبيعية التي ضربت حمص بين القرنين (3–9هـ)، وكيف عكس الوصف التاريخي والجغرافي حجم الخسائر الاقتصادية الناجمة عنها؟
- كيف أثرت الأوبئة في البنية السكانية والإنتاجية؟
- ما دور الغارات البدوية والاضطرابات السياسية في تعطيل النشاط الاقتصادي؟
- كيف انعكس الغزو الصليبي على الزراعة والتجارة؟
- إلى أي مدى كانت المصادر التاريخية دقيقة في وصف هذه التحولات؟

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا البحث من عدة جوانب رئيسة:

- إبراز دور العوامل الطبيعية والبشرية في تشكيل المسار الاقتصادي لمدينة حمص، وهو جانب لم يُعالج بعمق في الدراسات السابقة.
- تقديم قراءة تحليلية للمصادر التاريخية التي تناولت أوضاع حمص، وربطها بالسياق الاقتصادي العام لبلاد الشام.
- توضيح أثر الكوارث والأوبئة والحروب في تعطيل القطاعات الإنتاجية الأساسية، وخاصة الزراعة والتجارة.
- إظهار قيمة شهادات الرحالة والمؤرخين العرب بوصفهم شهودًا مباشرين على التحولات العمرانية والاقتصادية.

- سدّ فجوة بحثية تتعلق بدراسة الاقتصاد المحلي لمدينة حمص في ضوء العوامل البيئية والسياسية.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى:

- تحليل أثر الكوارث الطبيعية في تراجع الإنتاج الزراعي والعمراني.
- دراسة أثر الأوبئة في نقص اليد العاملة وتراجع النشاط الاقتصادي.
- تقييم أثر الغزو الصليبي في إضعاف الريف الحمصي وتراجع الأمن الاقتصادي.
- دراسة أثر الغارات البدوية والحروب الداخلية في تعطيل التجارة والصناعة.
- إبراز دور الرحالة والمؤرخين العرب في توثيق هذه التحولات.

حدود البحث

- **الحدود الزمنية** :تمتد من القرن الثالث إلى التاسع الهجري.
- **الحدود الموضوعية** :دراسة أثر العوامل الطبيعية والبشرية في اقتصاد حمص.

الدراسات السابقة

تنوّعت الدراسات التي تناولت تاريخ حمص، إلا أن معظمها ركز على الجوانب السياسية والعسكرية، بينما قلّ التركيز على الجانب الاقتصادي وتأثره بالعوامل الطبيعية والبشرية. ومن هنا تأتي مساهمة هذا البحث في سدّ هذا النقص من خلال تحليل معمّق للمصادر التاريخية. من بين الدراسات التي استفدت منها، دراسة الباحثة يمامة سعدو حول العمارة الدينية والمدنية في حمص خلال العصرين الأيوبي والمملوكي، التي نوقشت في جامعة حمص عام 2019، حيث تتبعت الكوارث الطبيعية التي حدثت في المدينة خلال الفترة المملوكية.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، حيث تم تقسيمه إلى فكرتين رئيسيتين: التحديات الطبيعية، التي تشمل الكوارث الطبيعية والأمراض والأوبئة، والتحديات البشرية، التي تشمل الغزو الصليبي والاضطرابات والحروب وغارات البدو.

صعوبات البحث

تتمثل صعوبات البحث في شح المعلومات الاقتصادية، وعدم وجود دراسات كافية ومتخصصة في الحالة الاقتصادية لمدينة حمص خلال فترة الدراسة للاستفادة منها.

أولاً التحديات الطبيعية:

1-الكوارث الطبيعية

لم تكن مدينة حمص بمعزل عن الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها بلاد الشام خلال الفترة الممتدة من القرن (الثالث حتى التاسع الهجري – التاسع حتى الخامس عشر الميلادي). فقد شكّلت هذه الكوارث، مثل الزلازل والأعاصير والصواعق والأمطار الغزيرة والسيول والثلوج، أحداثًا متكررة تركت آثارًا عميقة على عمران المدينة وحياة سكانها. تُظهر الروايات التاريخية الواردة في مصادر متعددة أن حمص كانت عرضة لهذه الظواهر بشكل مستمر، مما جعلها عاملاً مؤثرًا في مسارها الاقتصادي والاجتماعي والعمراني. إن تتبع هذه الأحداث يكشف عن حجم المعاناة التي واجهها الأهالي ومدى هشاشة البنية العمرانية أمام قوى الطبيعة، كما يبرز في الوقت نفسه قدرة المجتمع على إعادة البناء والتكيف مع الظروف القاسية.

نوع الكارثة	السنة	الاثار المترتبة عنها	المصدر
زلزال	219 هـ – 834 م	أصيبت بلاد الشام بزلازل شديدة واحيطت بظلمة شديدة.	السيوطي (عبد الرحمن ت 911 هـ 1505 م): كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تح عبد اللطيف السعداني، مطبعة محمد الخامس، فاس ، 1971 ، ص24.
زلزال	220 هـ – 835 م	زلزلت بلاد الشام لمدة أربعين يوما.	السيوطي: كشف الصلصلة، ص25.
زلزال	232 هـ – 846م	ضرب زلزل مدينة حمص ادى الى هدم اسوار المدينة.	السيوطي: كشف الصلصلة، ص25.
زلزال	245 هـ – 859 م	ضربت بلاد الشام زلازل مروعة خربت مدن عدة ومنها حمص فخرب القلاع والقناطر.	ابن العبري (ابي الفرج جمال الدين ت 685 هـ 1286م): تاريخ الزمان، تعر الاب اسحق ارملة، دار المشرق، بيروت ، 1991 ، ص40.

رياح	288 هـ – 902م	عصفت في مدينة حمص رياح شديدة تبعها برد قارس وتجمدت المياه وكان ذلك في وقت صيف.	ابن العبري: تاريخ الزمان، ص50.
قحط وجفاف	348 هـ – 959م	انقطعت الامطار وغلت الأسعار في سائر البلاد.	ابن الاثير: الكامل، ص 1244.
جراد	348 هـ – 959م	وفيها غزا الجراد البلاد فأفسد الزرع وغلت الأسعار.	ابن كثير: البداية، ج12 ، ص 202.
قحط وجفاف	374 هـ – 984 م	جفت الامطار وعدمت الاقوات وغلت الأسعار وهلك خلق كثير من الجوع.	ابن الاثير: الكامل، ص 1301.
زلزال	425 هـ – 1033م	كثرت الزلازل في مصر والشام وهلك خلق كثير.	ابن الاثير: الكامل، ص 1405.
زلزال	434 هـ – 1042 م	حدثت زلزلة عظيمة في بلاد الشام فأصابت بعلبك وتدمر.	السيوطي: كشف الصلصلة، ص32.
زلزال	533 هـ – 1138 م	حدث في هذا العام زلازل كثيرة وهلك من اهل حمص خلق كثير.	القرماني (احمد بن يوسف ت 1019 هـ 1610 م): اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، تح احمد حطيط،

			عالم الكتب، بيروت، ط1 ، 1992 ،ج2، ص 176.
جراد	541 هـ – 1146م	اتى على البلاد جراد عظيم.	ابن كثير: البداية، ج14 ، ص 115.
زلزال	544 هـ – 1149م	زلزلت الأرض زلزالا شديدا وتموجت الأرض عشر مرات.	ابن كثير: البداية، ج14 ، ص 125.
زلزال	552 هـ – 1157 م	ضربت بلاد الشام زلازل عظيمة شملت مدن عدة منها حمص فانهدمت القلعة ومعظم المدينة وهلك خلق كثير.	ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص 344.
زلزال	565 هـ – 1170 م	حدثت زلزلة عظيمة تهدمت مدن عدة في بلاد الشام ومنها حمص وهلك العديد من السكان.	المقريزي: اتعاظ الحنفا، ج3 ،ص 318.
جفاف وقحط	574 هـ – 1179م	انقطعت الامطار في سائر البلاد الشامية واشتد الغلاء وأكلت الناس الميتة.	ابن الاثير: الكامل، ص 1771.

زلزال	597 هـ – 1200 م	ضربت زلزلة عظيمة مصر وبلاد الشام ونتيجته تهدم عدد كبير من المساكن بمن فيها.	ابن العماد: شذرات ، ج4 ، ص 328.
زلزال	598 هـ – 1202 م	حدثت زلزلة عظيمة شقت قلعة حمص وهدمت أجزاء منها.	السيوطي: كشف الصلصلة، ص48.
جراد	622 هـ – 1225م	انتشر الجراد في البلاد.	ابن كثير: البداية، ج15 ، ص 138.
سيول	622 هـ – 1225 م	حدث في شهر أب سيول حتى جرت الاودية.	ابن الاثير: الكامل، ص 1930.
قحط وجفاف	659 هـ – 1259م	عم سائر بلاد الشام حتى وصل ثمن غرارة [1] القمح الى مئتي وعشرين درهم وغرارة الشعير الى أكثر من مئة درهم.	المقريزي (تقي الدين ت 845 هـ 1441م): إغاثة الامة بكشف الغمة، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة، د.ت، ص 70.

[1] غرارة: استخدمت لكيل الحبوب وتساوي اثنا عشر كيلاً بالمكيال الشامي وكانت مقاديرها تختلف من مدينة الى أخرى، القلقشندي (احمد بن علي ت 821 هـ – 1418 م): صبح الأعشى، تح عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ، 1981 ،ج4 ، ص 181.

زلزال	660 هـ – 1261 م	وقع زلزال عظيم شمل بلاد الشام وامتد الى بلاد الروم من قوته.	ابن كثير: البداية، ج15 ، ص 382.
صاعقة	676 هـ – 1278 م	تعرضت المزروعات في سائر بلاد الشام الى صاعقة احرقت الأشجار والفاكهة.	ابن كثير: البداية ، ج15 ، ص 421.
اعصار	685 هـ – 1287 م	حدثت زوبعة بحمص ارتفعت للسماء كالعمود خربت كثير من الخيام وهلك كثير من الناس والدواب.	ابن كثير: البداية، ج15 ، ص 519.
زلزال	686 هـ – 1287 م	حدثت زلازل كثيرة في هذه السنة هدم جزء من قلعة حمص واسوارها حتى كاد يمحى أثرها.	ابن عبد الظاهر (محي الدين ت 692 هـ 1292 م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح مراد كامل، الشركة العربية للطباعة، د.م ، 1961، ص 151.
صقيع	691 هـ – 1291م	حدثت موجة صقيع في بلاد الشام أدت الى تلف الثمار والمحاصيل الزراعية في كافة البلاد.	الجزري (محمد بن إبراهيم ت 738 هـ 1337 م): تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من أبنائه ويعرف بتاريخ الجزري، تح عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ، 1998 ، ج1 ، ص 119.

ثلوج	692 هـ – 1292 م	وقع ثلج وبرد عظيم في كافة بلاد الشام مما أدى الى هلاك خلق كثير ونقص في الدواب.	الجزري: تاريخ الجزري، ج1 ، ص 152.
قحط وجفاف	695 هـ – 1296م	وقع قحط في بلاد الشام حتى بلغت غرارة القمح الى مئتي درهم والفاكهة بأربعة امثالها.	المقريزي: إغاثة، ص70.
زلزال	702 هـ – 1303 م	تهدمت اسوار المدينة والكثير من ابنيتها وهلك خلق كثير.	ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2 ، ص 244.
سيول	716 هـ – 1316 م	هلك كثير من الناس والدواب وتضررت الأراضي.	ابن حبيب: تذكرة التنبيه، ج2 ، ص 74.
ثلوج	716 هـ – 1316 م	كان لها اثار مدمرة.	المقريزي: السلوك، ج2 ، ص 515.
سيول	718 هـ – 1318 م	حدث سيل عظيم بظاهر حمص في سلمية وخرب شيئا كثيرا لكن لم يدخل الى حمص لوجود خندق.	ابن كثير: البداية، ج16، ص 133.
قحط وجفاف	723 هـ – 1323م	وقع جفاف في بلاد الشام امتد من دمشق الى حلب بسبب انقطاع الامطار عن البلاد.	أبو الفداء: المختصر، ج4 ، ص 108.

سيول	732 هـ – 1331 م	جاء بحمص سيل غرق فيه كثير من النساء والاطفال.	المكي (عبد الله بن اسعد ت 768 هـ 1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997 ، ج4، ص 213.
زلزال	744 هـ – 1343م	ضرب زلزال عظيم بلاد الشام تهدم على أثره كثير من المدن.	ابن شاهين (أبو المكارم عبد الباسط ت 920 هـ 1515م): نيل الامل في ذيل الدول، تح عمر التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002، ج1، ص 87.
سيول	761 هـ – 1359م	وقع سيل عظيم بالقرب من حمص فهلك كثير من الأغنام.	ابن كثير: البداية والنهاية، ج16 ، ص 406.
قحط وجفاف	777 هـ – 1375م	وقع قحط وجفاف في سائر بلاد الشام ويذكر ابن حجر ان رطل [2] الخبز وصل الى ثلاثمئة درهم.	ابن حجر (شهاب الدين 852 هـ 1448م): انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1986 ، ج1 ، ص 155.

[2] رطل: كان الرطل يختلف من مدينة الى أخرى فرطل دمشق 1,8 اما رطل حلب 2,273 فيما رطل حمص يقدر ب 2,7 كغ، هنتس (فالتر): المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن ، 1970 ، ص 33–35.

صقيع	799 هـ – 1397م	ضرب الصقيع بلاد الشام حتى اتلف الأشجار والكروم والفاكهة ولم يسلم الا بعض الأماكن المرتفعة.	ابن قاضي شهبة (تقي الدين ت 851 هـ 1448م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تح عدنان درويش، المعهد العلمي للدراسات العربية، دمشق، د.ت، ج3 ، ص 613.

بناءً على ما تم عرضه، نستعرض تحليلًا لأثر الكوارث الطبيعية في الاقتصاد الحمصي.

الزلازل: تدمير البنية العمرانية وتعطيل الإنتاج

تظهر الروايات التاريخية أن حمص كانت من أكثر مدن الشام تعرضًا للزلازل، وقد أدت هذه الزلازل إلى:

- تهدم الأسوار والقلعة والمنشآت العمرانية.
- هلاك السكان، ما أدى إلى نقص اليد العاملة.
- تراجع النشاط الزراعي بسبب خراب السواقي والقنوات.
- ارتفاع الأسعار نتيجة نقص الإنتاج.

لقد جعل تكرار الزلازل عبر القرون عملية إعادة البناء مرهقة ومكلفة، مما أدى إلى حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي، إذ كانت المدينة تعيد بناء ما تهدمه الطبيعة بدلاً من تطوير مواردها.

السيول والثلوج والصقيع: تهديد مباشر للزراعة

تسببت السيول المتكررة في:

- جرف الأراضي الزراعية.

- إتلاف المحاصيل قبل جنيها.
- هلاك المواشي.

أما موجات الصقيع والثلوج، فقد أدت إلى:

- تلف الأشجار المثمرة والكروم.
- انخفاض إنتاجية الأراضي.
- ارتفاع أسعار الغذاء.

هذه الظواهر المناخية جعلت الزراعة، وهي أساس اقتصاد حمص، عرضة للتقلبات، وأفقدت السكان القدرة على التخطيط الزراعي طويل الأمد.

الجفاف والجراد: انهيار الأمن الغذائي

أدت فترات الجفاف إلى:

- انقطاع الأمطار.
- تراجع المحاصيل.
- ارتفاع الأسعار إلى مستويات غير مسبوقة.

أما غزو الجراد، فقد دمّر المحاصيل في سنوات عديدة، مما أدى إلى:

- مجاعات محلية.
- هجرة السكان بحثًا عن مناطق أكثر استقرارًا.
- تراجع النشاط التجاري بسبب نقص السلع.

إن استعراض الكوارث الطبيعية التي أصابت حمص عبر القرون يوضح أن الزلازل كانت الأكثر تكرارًا وخطورة، إذ هدمت الأسوار والقلاع وأودت بحياة أعداد كبيرة من السكان، مما أثر مباشرة على استقرار المدينة وأمنها. كما أن الأعاصير والصواعق والسيول والأمطار الغزيرة والثلوج أضافت أعباءً جديدة، فألحقت أضرارًا بالمزروعات والمساكن وأدت إلى خسائر بشرية جسيمة. يكشف هذا التكرار أن حمص كانت تقع في منطقة نشطة زلزاليًا ومناخيًا، مما جعل الطبيعة عاملاً دائمًا في تشكيل ملامح تاريخها.

من ناحية أخرى، يمكن القول إن هذه الكوارث لم تكن مجرد أحداث عابرة، بل ساهمت في إعادة صياغة البنية الاقتصادية والاجتماعية للمدينة، فقد أدت إلى نزوح بعض السكان وتراجع النشاط الزراعي في فترات معينة

2-الامراض والاوبئة

نوع المرض	السنة	الاثار المترتبة	المصدر
وباء عظيم	258 هـ – 871م	وقع وباء في كثير من البلاد وهلك خلق كثير.	الطبري: تاريخ الطبري، ص 2026.

داء الماشري[3]	357 هـ – 968م	انتشر في سائر الشام ومات خلقا كثير.	ابن كثير: البداية، ج 12 ، ص 247.
داء الخوانيق[4]	425 هـ – 1033م	كثر الموت بالخوانيق في الشام وسائر البلاد وهلك خلق كثير.	ابن الاثير: الكامل، ص 1406.
وباء عظيم	448 هـ – 1056م	انتشر الوباء في الشام وسائر البلدان ومات خلق كثير فكان يموت ألف شخص في اليوم الواحد.	ابن الاثير: الكامل، ص 1456.
أورام الحلق	456هـ – 1063م	انتشر في سائر البلاد.	ابن الاثير: الكامل، ص 1472.
وباء عظيم	469 هـ – 1076م	انتشر في الشام وسائر البلاد ومات خلق كثير.	ابن الاثير: الكامل، ص 1488.
وباء عظيم	478 هـ – 1085م	استفحل الوباء في الشام وسائر البلاد	ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 119.

[3] لم اعثر له على ترجمة

[4] الخوانيق: داء يصيب حلق الناس والدواب وقد يصيب الطير في رؤوسها وحلقها ويصيب الخيل أيضا، معجم الوسيط، ص 260.

		وخلت كثير من القرى من السكان.	
الجدري[5]	498 هـ – 1104م	انتشر الجدري في كثير من مدن الشام ومات خلق كثير.	ابن الاثير: الكامل، ص 1565.
أورام الحلق	541 هـ – 1146م	أصاب الناس داء في حلوقهم ومات خلق كثير.	ابن كثير: البداية، ج14، ص 115.
داء البرسام[6]	544 هـ – 1149م	هلك خلق كثير حيث لا يتكلم المرضى به حتى يموتوا.	ابن كثير: البداية، ج14 ، ص 125.
داء السرسام[7]	574 هـ – 1179م	كثر الموت حتى كان الناس يدفنون الموتى بالمئات في يوم واحد.	ابن الاثير: الكامل، ص 1771.

[5] الجدري: مرض جلدي معد يتميز بطفح حليمي يتقيح ويعقبه قشر، معجم الوسيط، ص 110.

[6] البرسام: ويسمى ذات الجنب وهو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة، معجم الوسيط، ص 49.

[7] السرسام: ورم في حجاب الدماغ تنتج عنه حمى وتتبعها هذيان وقلة النوم، معجم الوسيط، ص 427.

الطاعون[8]	589 هـ – 1193م	انتشر بحمص الطاعون وهلك خلق كثير.	الدواداري: الدر المطلوب، ج7 ، ص 121.
وباء عظيم	622 هـ – 1225م	اشتد الوباء وكثرت الامراض والموت بين الناس في الشام والعراق.	ابن كثير: البداية، ج15 ، ص 138.
وباء عظيم	630 هـ – 1232م	كان بحمص من الوباء والموت والامراض مالا يسمع ولا يعبر عنه.	ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص 257.
وباء عظيم	656 هـ – 1258م	تغير الهواء فحصل بسببه وباء شديد انتشر في سائر بلاد الشام.	ابن كثير: البداية، ج15 ، ص 316.
وباء عظيم	660 هـ – 1262م	انتشر الوباء في البلاد فكثر الموت والغلاء.	ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2 ، ص 209.

[8] الطاعون: داء ورمي وبائي سببه مكروب يصيب الفئران وتنقله البراغيث الى فئران أخرى والى الانسان، معجم الوسيط، ص 558.

الطاعون	749 هـ – 1348م	تفشى الطاعون حتى زاد عدد الاموات كل يوم مئة ونتج عنه توفر كثير من الاقطاعات لموت ملاكها.	ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج2 ، ص 339.
أورام الحلق	762 هـ – 1361م	أصاب الناس أورام الحلق وانتشرت بين الناس وهلك خلق كثير.	ابن شاهين: نيل الامل، ج1 ، ص 323.

شهدت حمص موجات متكررة من الأوبئة، مثل:

- الطاعون
- الجدري
- داء الخوانيق
- داء البرسام
- أمراض الحلق

وقد أدت هذه الأوبئة إلى:

- ارتفاع معدلات الوفيات.

- نقص اليد العاملة الزراعية والصناعية.

- هجرة السكان.

- ركود الأسواق بسبب انخفاض الطلب والإنتاج.

إن الأوبئة كانت من أكثر العوامل تأثيرًا في الاقتصاد، لأنها ضربت العنصر البشري مباشرة، وهو أساس العملية الإنتاجية.

ثانياً التحديات البشرية:

1-الاضطرابات والحروب

شهدت مدينة حمص عبر العصور الوسطى سلسلة من الاضطرابات الداخلية والحروب الخارجية وفي هذا السياق يصف المقدسي حمص بأنها بلد شديد الاختلال متداع الى الخراب وهو وصف يلخص بوضوح اثر تلك الاضطرابات على واقعها الاقتصادي والاجتماعي،[9] ففي العصر العباسي أدت

[9] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص 139.

الثورات ضد المتوكل[10] والمستعين[11] إلى قتل عدد من سكانها وحرق أجزاء واسعة من المدينة، مما انعكس على الزراعة بفقدان اليد العاملة وتعطّل الإنتاج، وعلى الصناعة بتدمير الورش والمنشآت الحرفية، وعلى التجارة بانهيار الأسواق وتعطّل طرق المواصلات[12] كما تعرضت حمص لهجمات متكررة ، مثل غارة طغتكين[13] سنة 517هـ/1123م وما صاحبها من نهب وسلب،[14] ثم هجمات عماد الدين زنكي[15] الذي ضربها بالمنجنيقات وخرب زرعها قبل أن يستولي عليها، إضافة إلى غارات المعظم عيسى[16] على المدينة وقراها ونهب زرعها ومواشيها ولم تقتصر الاضطرابات على

[10] المتوكل على الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم بالله وأمه جاريه واسمها شجاع، نقش على ختمه على إلهي اتكالي، ابن العمراني (محمد بن علي ت 580 هـ 1184م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، دار الافاق، القاهرة، ط1، 1999، ص 115 _ 116، ابن القضاعي (محمد بن سلامة): تاريخ القضاعي المعروف عيون المعارف وفنون اخبار الخلائف، تح جميل المصري، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1995، ص 453.

[11] المستعين بالله ابو العباس احمد بن محمد المعتصم واستلم الخلافة وهو بعمر ثمان وعشرون سنة، وأمه ام ولد اسمها مخارق توفي في سنة 252 هـ، ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص 137، ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت 597 هـ 1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح محمد عطا _ مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992، ج12، ص 55.

[12] ابن كثير: البداية والنهاية، ج11، ص 212.

[13] طغتكين: أبو منصور طغتكين أتابك من امراء السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي وصار طغتكين مقدم عساكر ابنه دقاق ويلقب ظهير الدين، الذهبي (محمد بن احمد ت 748 هـ 1348م): سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، عمان – الرياض، د.ت، ج1، ص 2060.

[14] ابن الاثير: الكامل، ص 1230.

[15] عماد الدين زنكي: بن أقسنقر بن عبد الله التركي صاحب حلب، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص 2878.

[16] المعظم عيسى: عيسى بن أيوب ابن الكامل ابن العادل، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص 3905.

ذلك، بل شهدت أرض حمص معارك مفصلية كمعركة حمص ضد المغول، ومعركة الخزندار، ومعركة شقحب، وكلها أسهمت في إضعاف البنية الاقتصادية للمدينة عبر تدمير الأراضي الزراعية، فقدان الموارد الحيوانية، تعطيل الصناعات المحلية، وانهيار النشاط التجاري،[17] تكشف هذه الأحداث أن حمص كانت ساحة دائمة للصراعات، وأن الاضطرابات السياسية والعسكرية لم تكن مجرد مواجهات عابرة، بل شكلت عاملًا رئيسيًا في إضعاف اقتصادها؛ فقد تراجعت الزراعة بفقدان الموارد، وانهارت الصناعات بفقدان اليد العاملة، وأصيبت التجارة بالشلل نتيجة فقدان الأمن، مما جعل المدينة عرضة لتراجع اقتصادي متكرر عبر القرون.

2-غارات البدو

شهدت بلاد الشام في العصور الوسطى نشاطًا واسعًا للقبائل البدوية التي سيطرت على طرق المواصلات الرئيسية، ومارست أعمال النهب وقطع الطريق، مما شكّل تهديدًا مباشرًا للقوافل التجارية وأمن المدن وقد ازدادت هذه الهجمات في العصر الأيوبي، حيث تعرضت حمص لغارات متكررة في عهد الملك المجاهد أسد الدين شيركوه،[18] تخللتها أعمال سلب وقتل [19] وتكررت هذه الاعتداءات

[17] كرد علي (محمد): خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق ، 1925، ج2 ، ص 6، 90 ،136.

[18] أسد الدين شيركوه: شيركوه بن شاذي بن مروان الكردي أخو الأمير نجم الدين أيوب ومؤسس الأسرة الأسدية التي توارثت حكم حمص لأجيال متتالية وفاتح مصر وقد توفي عام 564 هـ، الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج1، ص 2003.

[19] ابن نظيف: التاريخ المنصوري، ص 142.

سنة 624هـ/1226م، حين قام البدو بنهب الأهالي وأخذ مواشيهم قبل أن يعودوا إلى مضاربهم في بادية الشام. [20]

إن غارات البدو لم تكن مجرد أحداث أمنية، بل لعبت دورًا جوهريًا في تراجع اقتصاد حمص؛ إذ أضعفت الزراعة بفقدان المواشي والأراضي، وجعلت الفلاحين أقل قدرة على استثمار أراضيهم، مما أضر بالصناعة المرتبطة بالمواد الزراعية، وأدى إلى انهيار التجارة نتيجة فقدان الأمن على الطرق والأسواق.

3-الغزو الصليبي

شكّل الغزو الصليبي أحد أبرز العوامل التي أضعفت البنية الزراعية في بلاد الشام عامة، وفي حمص خاصة، إذ كان الفلاحون أكثر الفئات تضرراً من تبعاته فمع كل هجوم صليبي، كانت المناطق الريفية المفتوحة أول ما يتعرض للغارات والنهب، بخلاف المدن المحصنة بالقلاع والحصون التي وفرت قدراً من الحماية هذا الواقع جعل الفلاحين يعيشون في حالة خوف دائم، فكانوا في كثير من الأحيان يعزفون عن زراعة أراضيهم خشية أن تُنهب محاصيلهم أو تُدمَّر قبل جنيها، مما أدى إلى تعطيل دورة الإنتاج الزراعي لقد تسببت هذه الغارات المتكررة في بوار مساحات واسعة من الأراضي الزراعية،[21] وهو ما سجّلته شهادات الرحالة والمؤرخين فقد ذكر ابن جبير ان أسواقها كانت تعاني

[20] ابن سباط: صدق الأخبار، ج1 ، ص 293.

[21] ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ص 1261.

الركود بسبب هجمات الصليبيين عليها عن طريق حصن الاكراد[22] القريب منها وأن الطريق الذي سلكه بين حمص ودمشق كان مهجوراً قليل العمارة إلا في ثلاثة أو أربعة مواضع، وهو وصف يعكس حجم الخراب الذي أصاب العمران والريف على السواء[23] كما أشار الحميري عند حديثه عن حمص إلى أن أكثرها خراب، وأن شرق المدينة كان أرضاً برية، مما يدل على أن آثار الغزو الصليبي امتدت إلى محيط المدينة وأثرت في استقرارها الزراعي[24] يتضح من هذه الروايات أن الغزو الصليبي لم يكن مجرد مواجهة عسكرية، بل كان له أثر مباشر وعميق على الاقتصاد الزراعي. فقد أدى إلى انخفاض إنتاجية الأرض، وهروب الفلاحين من الريف إلى المدن بحثاً عن الأمان، مما أضعف قاعدة الإنتاج الغذائي وأثر على الأمن الاقتصادي. كما أن تراجع الزراعة في مناطق التماس كشف عن هشاشة الريف أمام الغارات، وأبرز أهمية التحصينات في حماية المدن مقارنة بالمناطق المفتوحة. ومن ثم، يُعد الغزو الصليبي عاملاً رئيساً في تفسير التراجع الزراعي الذي شهدته حمص وبلاد الشام خلال تلك الحقبة. ومن خلال هذه الشهادات، يتضح أن الرحالة كانوا شهوداً على التراجع في البنية الاقتصادية والاجتماعية لحمص.

---

[22] [22] حصن الأكراد: هو حصن منيع يقابل حمص من جهة الغرب وهو بين بعلبك وحمص وسمي بذلك لان بعض امراء الشام قد بنى في موضعه برجا وجعل فيه قوم من الاكراد طليعة بينه وبين الفرنج، الحموي (ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت، ج2 ، ص 264.

[23] ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص 233.

[24] الحميري: الروض المعطار، ص199.

نتائج الدراسة

أفضى تحليل العوامل الطبيعية والبشرية المؤثرة في مدينة حمص بين القرنين (3–9هـ) إلى الاستنتاجات التحليلية التالية:

أثبتت الدراسة أن الكوارث الطبيعية كانت المحرك الأول للأزمات الاقتصادية في حمص؛ حيث أدى تدمير البنية التحتية الزراعية إلى شلّ حركة الإمداد، مما حوّل الكارثة الطبيعية إلى أزمة اجتماعية تمثلت في فقدان الأقوات وارتفاع الأسعار.

الأوبئة المتكررة مثل الطاعون لم تقتل الناس فحسب، بل أفرغت المزارع والورش من العمال والمحترفين، وهذا أدى إلى شلل في الإنتاج وانهيار في اقتصاد المدينة.

الغزو الصليبي ركز على تدمير ريف حمص لقطع الإمدادات عنها، بينما كانت غارات البدو المستمرة تخنق طرق التجارة والقوافل، مما جعل المدينة تعاني من حصار خارجي واضطراب داخلي في آن واحد.

المشكلة الأكبر لم تكن في وقوع الكوارث، بل في "تلاحقها"؛ فقبل أن تنهض حمص من أثر زلزال، كانت تصطدم بحرب أو وباء، مما جعل اقتصادها في حالة ضعف مستمر وغير قادر على الوقوف مجدداً.

كتابات الرحالة لم تكن مجرد وصف، بل كانت "سجلاً دقيقاً" لمعاناة الناس؛ فقد وصفوا بدقة خلو الأسواق، وخراب الدور، وهجران البساتين، مما أكد صحة فرضية التدهور الاقتصادي.

الخلاصة:

اقتصاد حمص لم يضعف لسبب واحد، بل بسبب "اجتماع الظروف "(طبيعة قاسية وحروب مستمرة)، وهذا ما جعل المدينة تعيش ستة قرون من عدم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي.

المصادر والمراجع

1. ابن الأثير (علي بن محمد ت 630 هـ 1233م): الكامل في التاريخ تاريخ ابن الأثير، تح أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض، د. ت.
2. ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي ت 597 هـ 1200م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح محمد عطا _ مصطفى عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992.
3. ابن جبير (محمد بن أحمد ت 614 هـ 1217 م): رحلة ابن جبير، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1981.
4. الجزري (محمد بن إبراهيم ت 738 هـ 1337 م): تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من أبنائه ويعرف بتاريخ الجزري، تح عمر تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1 ، 1998.
5. ابن حبيب (الحسن بن عمر بن الحسن ت 770 هـ 1368م): تذكرة التنبيه في أيام المنصور وبنيه، تح محمد أمين، مطبعة دار الكتب، 1976.
6. ابن حجر (شهاب الدين 852 هـ 1448م): انباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 ، 1986.
7. الحموي (ياقوت بن عبد الله ت 626 هـ 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
8. الحميري (محمد بن عبد المنعم ت 688 هـ 1289م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تح احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

9. الدواداري (عبد الله بن آيبك ت 736 هـ 1335 م): الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية، تح المنجد، د. د، القاهرة، 1961.
10. الذهبي (محمد بن احمد ت 748 هـ 1348م): سير أعلام النبلاء، بيت الأفكار الدولية، عمان – الرياض، د.ت.
11. ابن سباط (حمزة بن أحمد ت 926 هـ 1520م): صدق الأخبار، تح عمر تدمري، جروس بروس، طرابلس، ط1 ، 1993.
12. السيوطي (عبد الرحمن ت 911 هـ 1505 م): كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، تح عبد اللطيف السعداني، مطبعة محمد الخامس، فاس ، 1971.
13. ابن شاهين (أبو المكارم عبد الباسط ت 920 هـ 1515م): نيل الامل في ذيل الدول، تح عمر التدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2002.
14. الطبري (محمد بن جرير ت 310 هـ 923م): تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية، الأردن، د.ت.
15. ابن عبد الظاهر (محي الدين ت 692 هـ 1292 م): تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تح مراد كامل، الشركة العربية للطباعة، د.م ، 1961.
16. ابن العبري (ابي الفرج جمال الدين ت 685 هـ 1286م): تاريخ الزمان، تعر الاب اسحق ارملة، دار المشرق، بيروت ، 1991.
17. ابن العماد (عبد الحي بن أحمد ت 1089 هـ 1679م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1 ، 1993.
18. ابن العمراني (محمد بن علي ت 580 هـ 1184م): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تح قاسم السامرائي، دار الافاق، القاهرة، ط1، 1999.
19. ابن قاضي شهبة (تقي الدين ت 851 هـ 1448م): تاريخ ابن قاضي شهبة، تح عدنان درويش، المعهد العلمي للدراسات العربية، دمشق، د.ت.
20. القرماني (احمد بن يوسف ت 1019 هـ 1610 م): اخبار الدول واثار الأول في التاريخ، تح احمد حطيط، عالم الكتب، بيروت، ط1 ، 1992.

21. أبو الفداء (إسماعيل بن محمد ت 732 هـ 1331م): تقويم البلدان، دار صادر، بيروت، د.ت.
22. ابن القلانسي (ابي يعلى حمزة ت 550 هـ 1160م): ذيل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ، 1908.
23. القلقشندي (احمد بن علي ت 821 هـ – 1418 م): صبح الأعشى، تح عبد القادر زكار، وزارة الثقافة، دمشق ، 1981.
24. ابن كثير (ابي الفداء إسماعيل ت 774 هـ 1373م): البداية والنهاية، تح أكرم البوشي، وزارة الاوقاف، دولة قطر، 2015.
25. كرد علي (محمد): خطط الشام، المطبعة الحديثة، دمشق ، 1925.
26. المقريزي (تقي الدين ت 845 هـ 1441م): إغاثة الامة بكشف الغمة، مؤسسة ناصر للثقافة، القاهرة، د.ت.
27. المكي (عبد الله بن اسعد ت 768 هـ 1366م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997
28. المقدسي (محمد بن أحمد ت 380 هـ 990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
29. ابن نظيف (محمد بن علي ت 660 هـ 1262م): التاريخ المنصوري تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، تح أبو العيد دودو، مطبعة الحجاز، دمشق ، 1981.
30. ابن الوردي (عمر بن مظفر ت 749 هـ): تاريخ ابن الوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996.
31. هنتس (فالتر): المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن ، 1970.

المعاجم

مجموعة مؤلفين: معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤،